المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:03 (2024)، ص358-372

الحرائق الغابية في شعبة عنابة خلال الفترة الاستعمارية –حرائق 1890 م في دائرة قالمة أنموذجا

Forest fires in the Annaba subdivision during the colonial period - the fires of 1890 in the arrondissement of Guelma as a model-

خميسة مدور
مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات االمغاربية
جامعة قالمة (الجزائر)
meddour.khemissa@univ-guelma.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/10/10
تاريخ القبول:
2024/11/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحرائق الغابية
- ✓ الإدارة الغابية
- ✓ دائرة قالمة
- ✓ المناطق الرعوية

الملخص:

أدركت الادارة الاستعمارية الفرنسية أهمية الغطاء الغابي في شعبة عنابة بما في ذلك الاقاليم الغابية الهامة التي تحوزها دائرة قالمة التي تتميز بالكثافة والتنوع، ما دفعها إلى تنظيم عملية الاستغلال الغابي لها والاستفادة من منتجاتها على حساب القبائل الغابية التي تعرضت لانتزاع ملكيات واسعة عن طريق تطبيق قوانين نزع الملكية المختلفة أونتيجة تحميل السكان المسلمين مسؤولية سلسلة الحرائق التي شهدتها خلال فترات متلاحقة عن طريق تسليط العقوبات المختلفة كالتغريم، السجن، وحصر المناطق الرعوية وغيرها التي تنتهي غالبا بسلب الأقاليم الغابية، وهو ما نهدف إلى إبرازه من خلال رصد أهم الحرائق الغابية خلال سنة 1890 في أهم غابات منطقة قالمة والوقوف على مدى مسؤولية السكان عن هذه العملية، وذلك انطلاقا من دراسة وتحليل الوثائق الأرشيفية المتعلقة بسلسلة الحرائق التي شهدتها الدائرة خلال هذه الفترة والمحفوظة في أرشيف أكس أون بروفنس بفرنسا.

Article info

Received:
10/10/2024
Accepted:
26/11/2024

Key words:
- ✓ Forest fires
- ✓ Forest management
- ✓ Guelma arrondissement
- ✓ Pastoral areas

Abstract:

The French colonial administration realized the importance of forest cover in the Annaba division, including the important forest regions that are in Guelma department, which is characterized by its density and diversity. This is what prompted the French administration to organize a forest exploitation process and benefit from its products at the expense of the forest tribes that were subjected to the expropriation of large properties through the application of various expropriation laws or as a result of holding the Muslim population responsible for the series of fires that it witnessed during successive periods by imposing various penalties such as fines, imprisonment, and limiting pastoral areas and Others that often end with the dispossession of forest regions, which we aim to highlight by monitoring the most important forest fires during the year 1890 in the most important forests of the Guelma region and to determine the extent of the responsibility of the population for this process, based on the study and analysis of archival documents related to the series of fires witnessed by the department during this period and preserved in the archives of Aix-en-Provence in France.

مقدمة

تحتل الغابات في مقاطعة قسنطينة عموما وشعبة عنابة تحديدا أهمية بالغة ودورا رئيسيا في حياة السكان فهي مناطق رعوية بالدرجة الاولى ومصدر للمنتجات الغابية اليومية تتوزع على الدوائر الأربعة وفي مقدمتها غابات الايدوغ، القالة، بني صالح وأولاد بشيا وبني فوغال في دائرة قالمة، وهو ما دفع ادارة الاحتلال لاستغلال هذا المجال الغابي وحمايته من التهديد الاول الحرائق التي حملت مسؤوليتها للسكان الجزائريين واعتبرتهم السبب المباشر لها بدافع الحقد العربي والانتقام من السلطات الاستعمارية والمستغلين الخواص الذين استولوا على مساحات واسعة ومنحت لنفسها سلطة الاستغلال والسيطرة على هذه الممتلكات بتطبيق إجراءات عقابية كالغرامات والسجن والمسؤولية الجماعية وهو ما ينتهي بتجريد السكان من ملكياتهم الغابية والحد من انتفاعهم بها.

في هذا السياق تسعى هذه الورقة البحثية للإجابة على اشكالية مركزية تتعلق **بتتبع السياسة الغابية الفرنسية اتجاه الاقاليم الغابية في شعبة عنابة وتحديدا دائرة قالمة ورصد أهم الحرائق الغابية التي ترتب عنها نتائج وخيمة على السكان بعد تحميلهم مسؤولية إشعالها؟**

للإحاطة بمختلف جوانب هذه الاشكالية نطرح جملة من التساؤلات الفرعية أهمها:

- **ماهي مساحة الاقليم الغابي لشعبة عنابة؟**
- **ما هي أهم مناطق توزع المجال الغابي على كامل دوائر الشعبة؟**
- **ماهي أهم مجالات استغلال الغابة بالنسبة للسكان وكيف استغلت الادارة الفرنسية الأقاليم الغابية بالمقابل؟**
- **ماهي أهم الحرائق الغابية التي شهدتها دائرة قالمة خلال سنة 1890؟**
- **ما مدى تحمل الجزائريين لمسؤولية إضرام النار في الغابات؟**

للاجابة على هذه التشاؤلات اعتمدت على دراسة وتحليل الرصيد الأرشيفي المتعلق بالغابات المحفوظ في أرشيف ما وراء البحاربمدينة أكس أون بروفنس وتحديدا العلبة **.A.N.O.M, G.G.A,86.108**، وهي عبارة عن مجموعة من التقارير والمراسالات والمخططات المتعلقة بالحرائق التي شهدتها دائرة قالمة وأقليمها بما في ذلك البلدية المختلطة صيفيا وسوق أهراس سنة 1890. وهي في غاية الأهمية حيث اختوت معلومات مهمة ودقيقة ومخططات لسلسلة الحرائق خلال سنة 1890 والتي لم نطلع عليها في مصادر أو مراجع أخرى فهي تنشر لأول مرة.

1. الإقليم الغابي في شعبة عنابة (Budin,2020,p127) خلال الفترة 1830-1890م

تعد الغابة موردا هاما ورئيسيا في حياة السكان في ناحية عنابة والقالة، فهي مورد أساسي للعيش حيث توفر الغابات الخشب للطهي والتدفئة واستغلاله في صناعة الأدوات الزراعية والأعمدة اللازمة لصنع الخيام والأكواخ التي تغطى بالفلين بالإضافة إلى استعمالات متعددة تدخل في النشاط اليومي للقبائل الغابية كاستخراج الفحم

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

النباتي وصناعة جباح النحل كما يستخرج السكان الفحم النباتي لاستخدامه أو بيعه بسوق عنابة (Budin,2020,p 53-54).

1.1. توزيع المساحات الغابية على دوائر إقليم عنابة

بعد عمليات الاستطلاع الأولية الفرنسية للمنطقة تم تقييم المساحة الاجمالية للغابات بشعبة عنابة بـ: 127000 هكتار موزعة كمايلي:

20000هـ دائرة عنابة، 27000هـ دائرة الايدوغ، 30.000هـ بدائرة القالة و10.000هـ دائرة قالمة، 40.000 دائرة الحنانشة(Budin, 2020, p 663).

وتشغل غابات الفلين مساحة عامة تقدر بـ: 43436هـ موزعة كمايلي:(Saccardy,1938, p 49)

الإقليم Inspection	الغابة	المساحة
بون: 43436 هكتار	بني صالح (ج1)	12.610
	جبل عوارة	2.811
	إيدوغ	6355
	مرداس	972
	ولاد بوعزيز	3120
	بني صالح (ج2)	3000
	فج أحمد	4640
	أولاد باشيح	2020
	واد غانم	4428

الجدول 1: مساحة غابات الفلين في شعبة عنابة .

2.1. استغلال السكان للغابات كمورد للعيش في المنطقة

بدأت إدارة الاحتلال في الاهتمام بالغطاء الغابي لناحية عنابة بمجرد إدراك الوقوف على المساحات الغابية الواسعة والتنوع الطبيعي في غابات الإيدوغ والقالة وغابات بني صالح، كما سجلت السلطات الاستعمارية أهمية الغابة مكان للاستقرار والعيش بالنسبة للساكنة الجزائرية في المنطقة الأمر الذي دفعها مباشرة إلى تنظيم المجال والسيطرة عليه بمجموعة من التشريعات التي مكنتها من استغلال الغابة وتجريد الملاك الجزائريين من ممتلكاتهم الغابية بصدور أول مرسوم بتاريخ 02 أفريل 1832م حول الغابات والذي سرعان ما عدل بالمرسوم الثاني الصادر بتاريخ 09 ماي 1833م، الذي نظم استغلال الغابات تحت سلطة مدير أملاك الدولة وبمتابعة من القاضي الإمبراطوري للفصل في المخالفات المرتكبة في مجال استغلال الثروة الغابية منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (Alfred, 1844, p156).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

غير أن الاحصائيات في مرحلة الاحتلال الأولى غير دقيقة وهو ما تعلق تحديدا بعدد الأشخاص الذين يشغلون الحيز الغابي (يسكنون الغابة)، فقد أثبت المؤرخ أندري نوشي في دراسته الهامة (Nouschi, 1959, p525-535) أهمية الغابة بالنسبة للإنسان الجزائري منذ 1830م، حيث أكد أن أغلب الساكنة يعيشون بجانب أو في وسط الغابة، كما قدم إحصائيات هامة ودقيقة بناء على وثائق للعدد الفعلي للسكان الذين اتخذوا الغابة مقرا للعيش والرزق في شعبة عنابة التابعة لمقاطعة قسنطينة والتي تحوز أكبر مساحة من الغابات في الجزائر وذلك كمايلي: (Nouschi, 1959, p.530)

توزيعهم	عدد السكان	المنطقة
غابة جبل إيدوغ	3148 ساكن	موزعون على 16 دوار (أو عرش) و132 قوربي (gourbi) في كل قوربي 04أشخاص، و392 خيمة كبيرة (الواحدة 05 أشخاص) و220 خيمة صغيرة (الواحدة 03 أشخاص).
غابة القالة	2562 ساكن	موزعين على 10 دواوير و336 خيمة بها 07 أشخاص.
غابة بني صالح وأولاد بشيا	2200 ساكن	موزعين على 03 دواوير والمكونة من 430 خيمة.

الجدول 2: توزيع السكان الذين يسكنون الغابة في شعبة عنابة

وهو ما يقودنا إلى القول بأن عدد القبائل الرعوية في شعبة عنابة عموما وقالمة تحديدا كان معتبرا فأغلب سكان الأرياف شكلت الغابة بالنسبة لهم موردا للعيش والرزق.

2. الاستغلال الفرنسي لقطاع الغابات في شعبة عنابة

تحتل الغابات في مقاطعة قسنطينة عموما وشعبة عنابة تحديدا أهمية بالغة ودورا رئيسيا في حياة السكان وهي موزعة على دوائرها الاربعة وفي مقدمتها غابات الإيدوغ، القالة، بني صالح والأولاد بشيا وبني فوغال في دائرة قالمة، وهو ما وقفت عليه إدارة الاحتلال خاصة عندما أدركت أن هذه المساحات الغابية هي مناطق رعوية حيث يمارس سكان البوادي الرعي على نطاق واسع، إذ تعتبر قطعانهم المصدر الأساسي للثروة، وبحكم أن مميزات المنطقة الطبيعية توفر العشب، وتسمح بتغذية الحيوانات فإننا نجد كل أنواع الحيوانات والدواجن؛ الفرس والثور والجمل والبغال والماعز والجمل ذو السنامين والحمار والغنم والخيول العربية، بالإضافة إلى تربية الماشية التي تعد واحدة من الأنشطة الرئيسية وهو ما تثبته الإحصائيات التالية:

نوع الحيوانات	السنة	العدد
الابقار	1845	346.004
الأغنام	1845	2.310.036
الماعز	1845	311.767
الخيول	1845	636،90
البغال	1845	723،76
الإبل	1845	087،269

الجدول 3: تعداد الثروة الحيوانية في شعبة عنابة سنة 1845

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعموما فان أغلب هذه الحيوانات وخاصة المواشي يملكها قبائل البدو (شالر، 1982، ص33) ، وخاصة تلك التي تتعلق بالأغنام، فمثلاً، يمتلك أولاد سيدي يحيى بن طالب الذين يبلغ عددهم 6000 فرد وفقًا لتعداد عام 1845 20.000 رأس من الأغنام، والمئات من الأبقار والماعز والخيول والبغال والإبل، وبالمثل فإن النمامشة (يبلغ عدد أفراد القبيلة حوالي 20.000) يمتلكون أكثر من 32000 رأس من الأغنام، بالإضافة إلى 7000 رأس من الخيول و2000 رأس من البغال و1000 رأس من الأبقار، و80000 رأس من الإبل، وتتجاوز الحراكتة (يبلغ تعدادهم حوالي 30000 فرد) هذه الأعداد بشكل كبير؛ بـ 350000 رأس من الأغنام، و56000 رأس من الإبل، و5600 رأس من الخيول، و1000 رأس من الأبقار، و1000 رأس من البغال (Nouschi, 1961, p 93 – 94).

وتوفر الخشب والفحم وهي مصدر لكثير من المستلزمات اليومية لسكان الريف حيث شرعت ومنذ السيطرة على ناحية عنابة في استغلال هذه الموارد الغابية وذلك بداية بتنظيم المجال الغابي والسيطرة عليه بطريق التشريعات المنظمة للاستحواذ حيث تم تحويل ملكية الغابات إلى سلطة مدير أملاك الدولة بموجب مرسوم 09 ماي 1833. ثم مرسوم 09 نوفمبر 1845 وأول قانون منظم للملكية الغابية والعقارية عموما في الجزائر بتاريخ 16 جوان 1851م وقد اعتبر نابليون الثالث الغابات ملكيات شاغرة وبالتالي فهي ملك للدولة يمكنها التصرف فيها. تم بموجب ذلك إحصاء المساحات التالية حسب الأهمية في شعبة عنابة التي قدرت مساحتها الغابية بـ: 127000 هكتار موزعة كما يلي:

الدائرة	المساحة الغابية بالهكتار
عنابة	20.000هـ
الإيدوغ	27000هـ
القالة	30.000هـ
قالمة	10.000هـ
الحنانشة	40.000هـ

الجدول 4: توزيع المساحات الغابية على دوائر شعبة عنابة

ثم توالت بعد ذلك التشريعات ابتداء بقانون سيناتوس كونسيلت 1863 (Guignard,2008,p165) إلى غاية قانون 1903 م[1].

وعموما أدركت إدارة الاحتلال الثروة الغابية في هذه المساحات الشاسعة وسعت استغلالها بفتح الطرقات والمسالك التي تسمح بالتوغل داخل غابات القالة وبني صالح والإيدوغ وبني فوغال وهو ما تكفل بالإشراف على إنجازه قائد شعبة عنابة الجنرال "**راندون**" وربط بين عنابة والإيدوغ على مسافة 20 كلم، كما حظيت غابات جبال بني صالح هي الأخرى بهذا الاهتمام نتيجة القدرات والطاقات الكبيرة لهذه الغابات وفي مقدمتها الخشب والفحم فتم فتح مسلك على امتداد 10 كلم (Prochaska, 1990, pp. 376-378).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والأكيد أن هذا التدخل في الإقليم الغابي إنجر عنه ايذاء للسكان بإبعادهم عن الغابات المعنية وانتزاع ملكياتهم في مقابل منحها للمستوطنين لاستغلالها مع تزويدها بحراس لحمايتها من الحرائق (Budin,p 321) .

3. الحرائق الغابية[2] في دائرة قالمة ومدى مسؤولية السكان عنها

1.3. استغلال الغطاء الغابي في دائرة قالمة

تحوز دائرة قالمة على غطاء غابي هام جدا والممتد على مساحة اجمالية مقدرة بـ 10.000 هكتار وهو ما دفع السلطات الإستعمارية للمسارعة لاستغلالها وفقا لمجموعة من القرارات والمراسيم المطبقة خاصة على غابات بني صالح وبني فوغال وأولاد بشيا وغابات جبل ماونة ونورد فيما يلي نموذج لقرار تم بموجبه استغلال هذه المساحات:

Arrêté du 13 novembre 1862 : Concession de l'exploitation de 6467 hectares dans la forêt de Beni-Foughal (A.N.O.M, G.G.A, 1890).

وهو قرار تم بموجبه منح مجموعة من المستوطنين حق استغلال حوالي 6467 هـ في هذه الغابة. وفيما يلي أهم المساحات الغابية في دائرة قالمة:

1.1.3. غابة جبل طاية

يوجد على الحدود بين قالمة وقسنطينة تقدر مساحتها بـ: 1500 هـ وأغلب غاباتها من أشجار البلوط وأشجار الفلين. تستغل في التدفئة والفحم.

2.1.3. غابة جبل ماهونة: (djebel hallouf)(A.N.O.M, G.G.A, 1890)

تبلغ مساحة هذه الغابة حسب ما جاء في المصدر الرسمي الفرنسي –مديرية الغابات – حوالي 480 هكتار من أشجار البلوط والفلين.

3.1.3. غابة جبل بني صالح وأولاد بشيا

تحتوي على بعض الهكتارات من أشجار البلوط والفلين.

وفيما يلي خريطة توضح توزيع الإقليم الغابي للدائرة موجهة من قائد المكتب العربي في قالمة.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

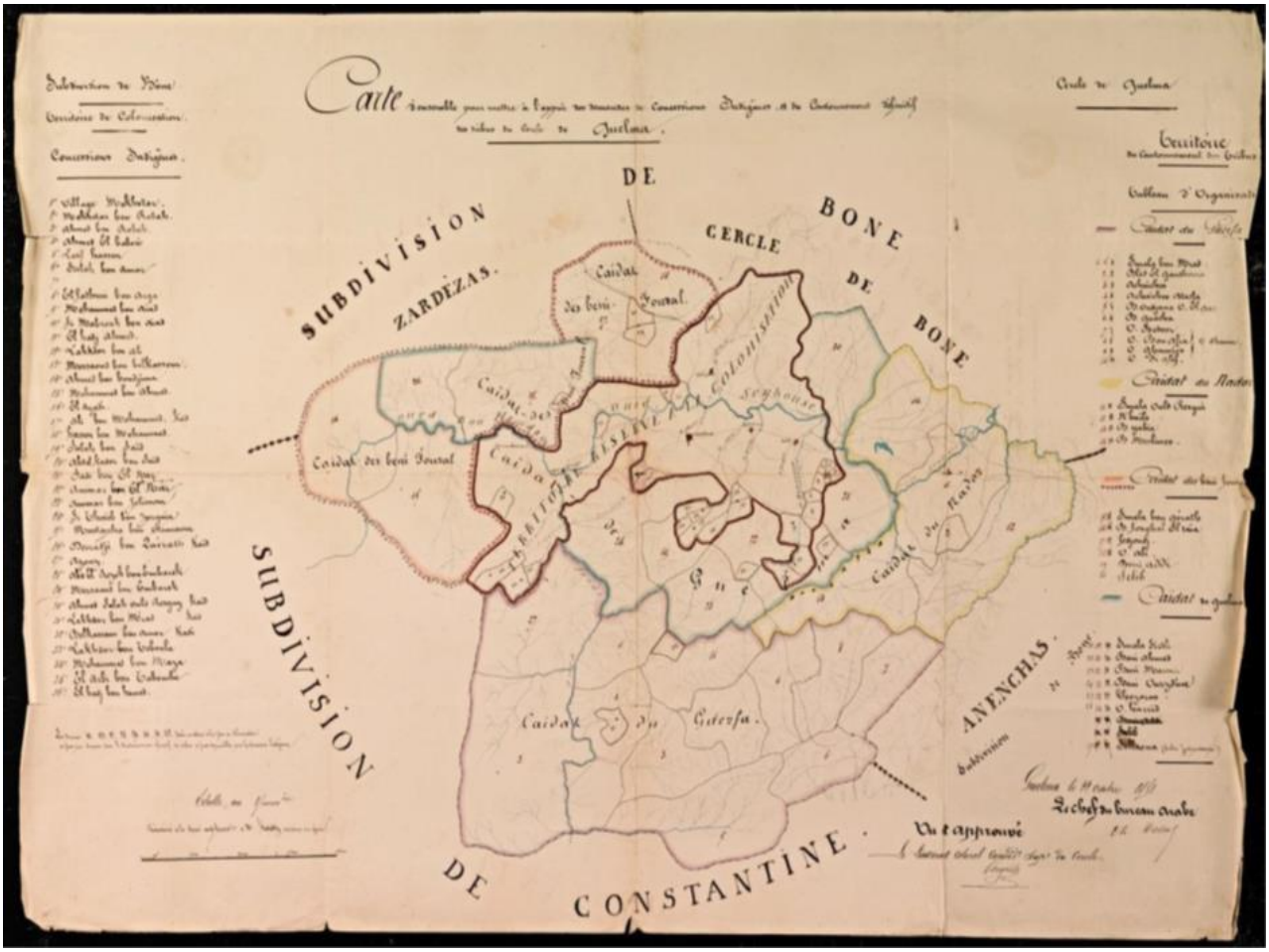

Carte dressée le 22 octobre 1851 par le lieutenant Delort, chef du bureau arabe du cercle de Guelma

2.3. حرائق عام 1890 في منطقة قالمة من خلال تقارير فرقة الجندرمة الفرنسية

عرفت غابات منطقة قالمة خاصة غابات جبل ماونة أو جبل "**حلوف**"[3] كما ورد في التقارير الفرنسية، وجبال منطقة هيليوبوليس وميليزيمو وبيتي (Duval, 1869, p.266) حرائق مهولة سنة 1890م خصتها التقارير الفرنسية (A.N.O.M, G.G.A ,86.108) بالمتابعة، بالإضافة إلى حرائق غابات بني صالح وأولاد بشيا نوردها كما يلي :

1.2.3. حريق جبل حلوف (ماونة)

حسب ما جاء في هذه الوثيقة فان الحريق المندلع يوم 19 أوت في حدود الساعة السادسة والنصف مساء 1890، قد أتى على مساحة مقدرة بـ: 11 هكتار في الغابة المسماة غابة جبل حلوف التي تبعد بـ 4 كلم عن بلدية قالمة حيث تولى مهمة الإبلاغ حارس هذه الغابة (le garde champêtre) والذي رفع تقرير كامل ومفصل للجهات الوصية نائب محافظ الدائرة (le sous-préfet) يتضمن معلومات هامة تتمثل خاصة في مساحة الحريق، تاريخ وساعة الحريق ومحاولة تحديد الجهة المتسببة فيه (A.N.O.M , G.G.A,86/108).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

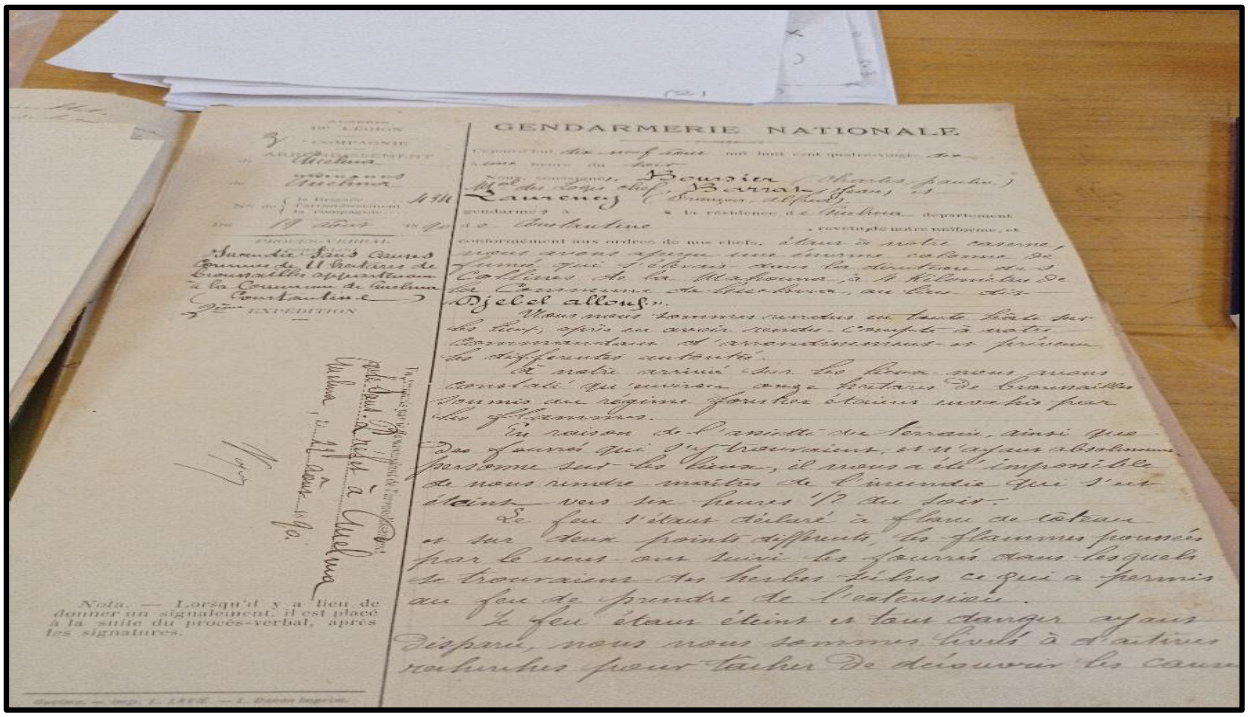
GENDARMERIE NATIONALE

وبدورهم يقوم شيوخ القبائل والقياد بإرسال رسائل إلى السلطات لإعلامهم بنشوب الحريق كما فعل شيخ أولاد سنان فيما يخص هذا الحريق أين يتم تحديد حدود الحريق والأماكن التي وصل إليها وتظافر جهود القياد الذين ذكرهم بالاسم[4] لتطويق النار والرسالة المرفقة توضح ذلك (A.N.O.M, G.G.A, 86/108,1890):

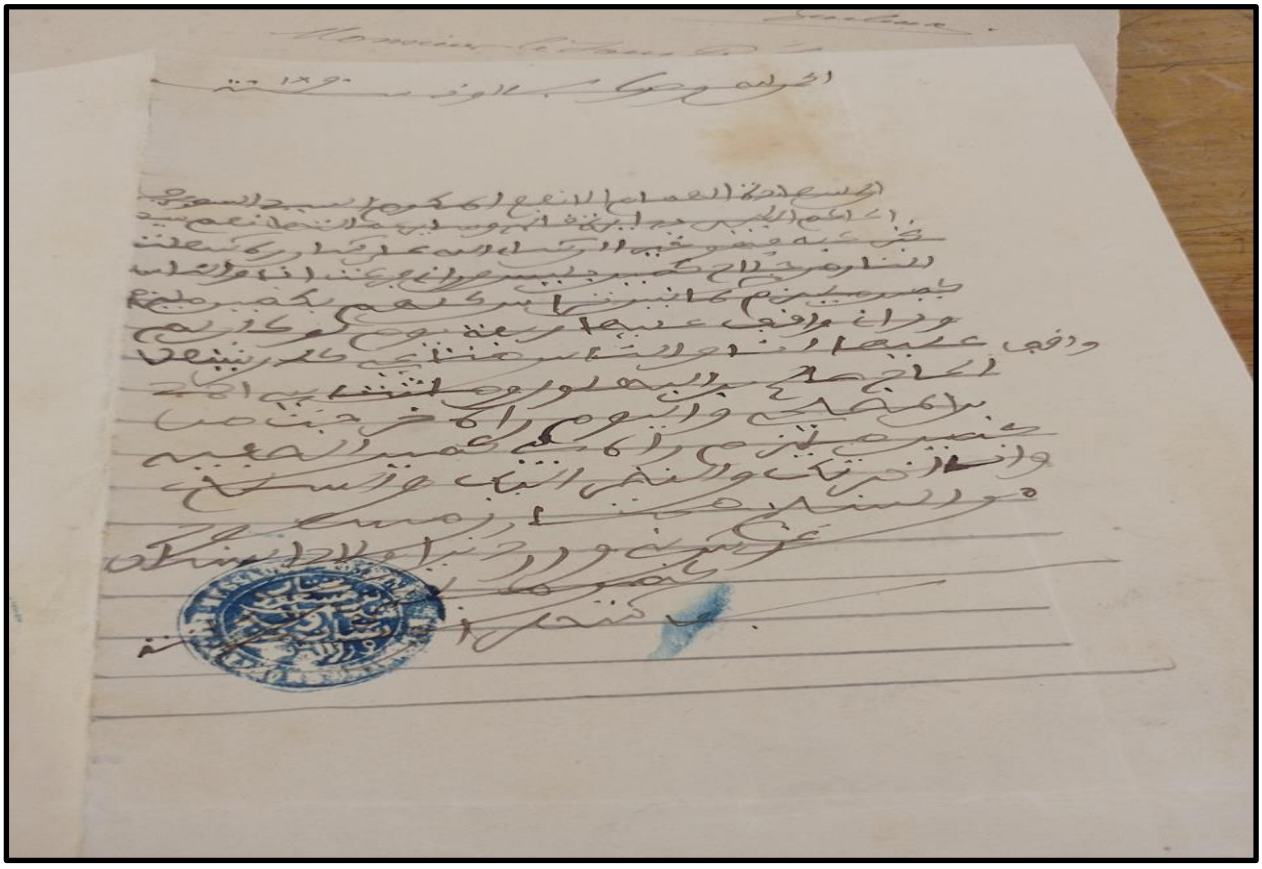

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.2.3. حرائق غابات هيليوبوليس وميليزيمو وبيتي بتاريخ: 16-17-18-19 أوت 1890

أرسل نائب بلدية بيتي[5] تقريرا إلى نائب دائرة قالمة بتاريخ 24 أوت 1890 يخبره فيه بتفاصيل الحريق الذي اندلع يوم 16 أوت في حدود الساعة 11 صباحا ببلدية هيليوبوليس والتي امتدت إلى بلدية ميليزيمو بتاريخ 17 أوت في حدود الساعة منتصف النهار(12) ، وقد خلفت هذه الحرائق خسائر تقدر بـ 11 هكتار من مراعي المنطقة خصوصا (A.N.O.M, G.G.A, 86/108,1890).

في ذات السياق أرسل تقرير يبين فيه اندلاع حريق آخر بالبلدية المختلطة بني مزلين والذي امتد على 250 هكتار من الغابات المجاورة (A.N.O.M, G.G.A, 86/108,1890).

ولابد من الإشارة أن إدارة الغابات (Matheron, mis en ligne le 01 octobre 2022) تتابع باهتمام كبير الحرائق المختلفة التي تطال الغابات في المنطقة وتقوم بإجراءات مختلفة منها:

- إرسال التقارير المفصلة إلى الجهة الوصية.
- جرد المساحات المحترقة وتحديد مكانها بدقة.
- وضع مخططات تبين فيها الغابة المعنية والمساحة المحترقة.
- فتح تحقيقات لتقييم الخسائر ومعرفة أسباب الحرائق.

وفيما يتعلق بالمخططات الأولية نورد فيما يلي نموذجا لها للحرائق سنة 1890 والتي مست الغابات في هنشير السعيد وغابة بني مزلين جبل هوارة. الحدود تظهر باللون الأحمر في المخطط بمعنى المساحة التي شملتها، وعادة ترفق المخططات بتقرير مفصل لمساحة الحريق، حدوده، وأنواع الأشجار التي تم اتلافها.

حريق هنشير السعيد والذي يوضحه المخطط التالي (A.N.O.M, G.G.A, 86/108,1890)

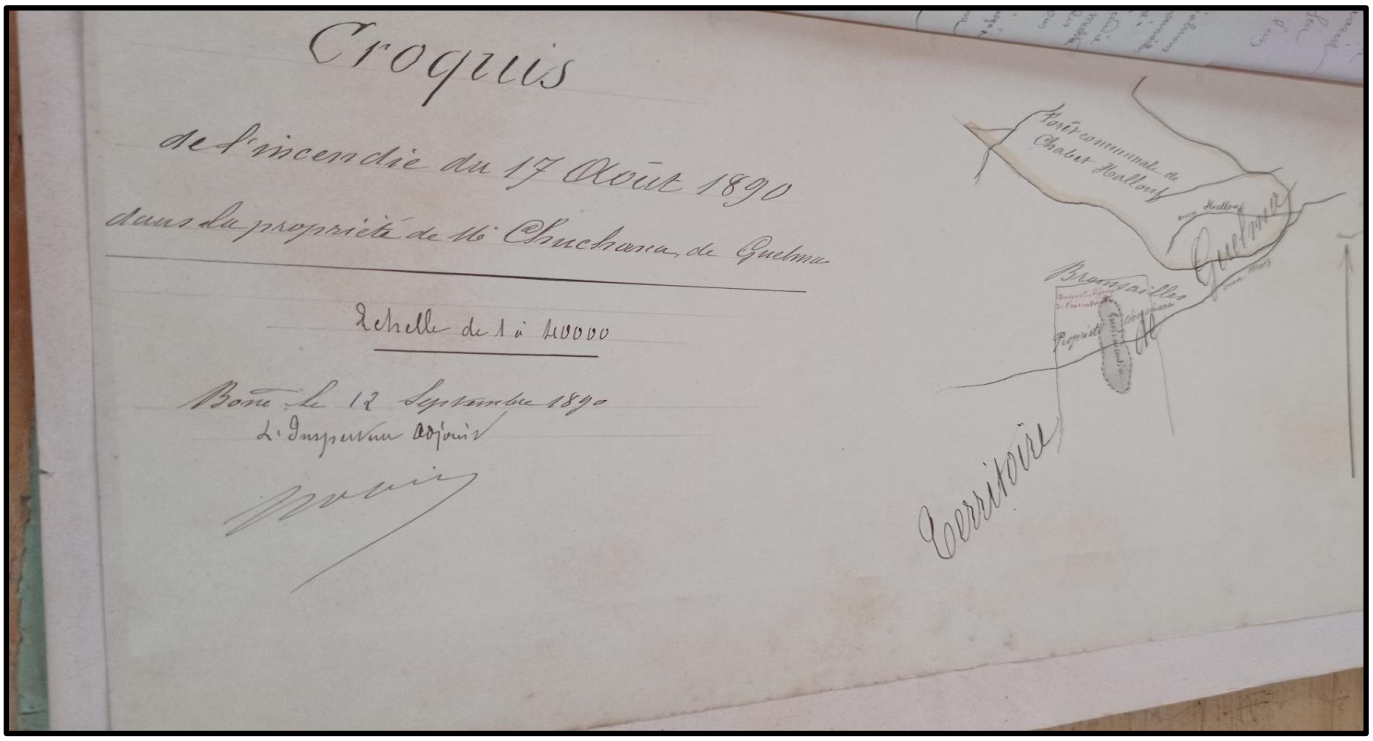

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

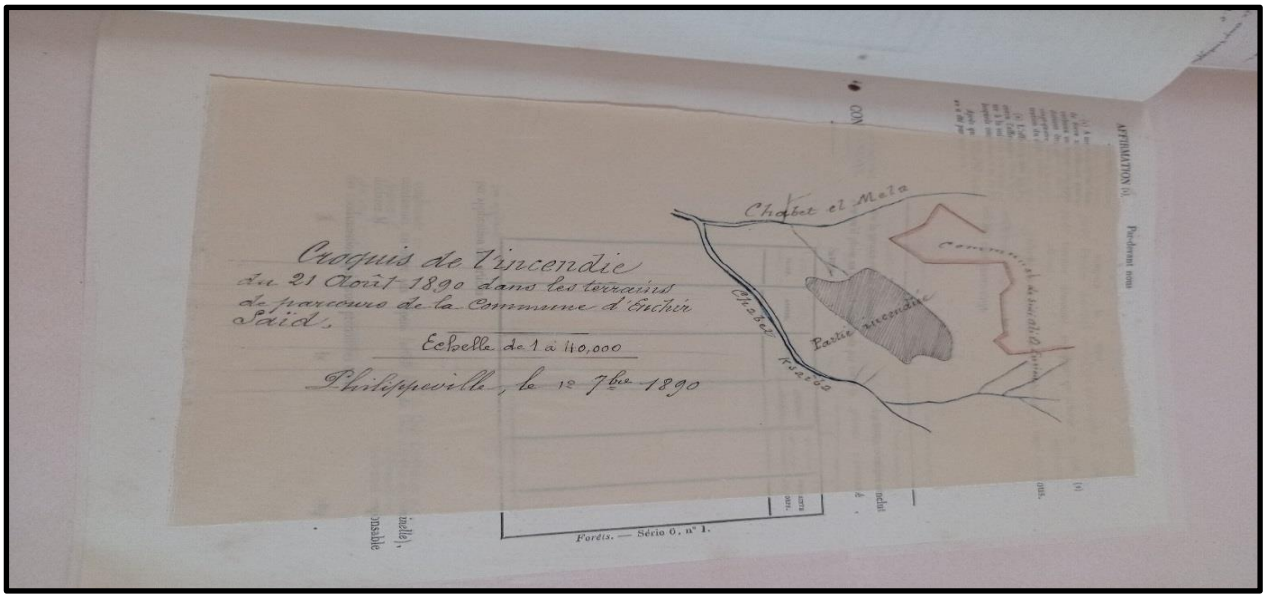

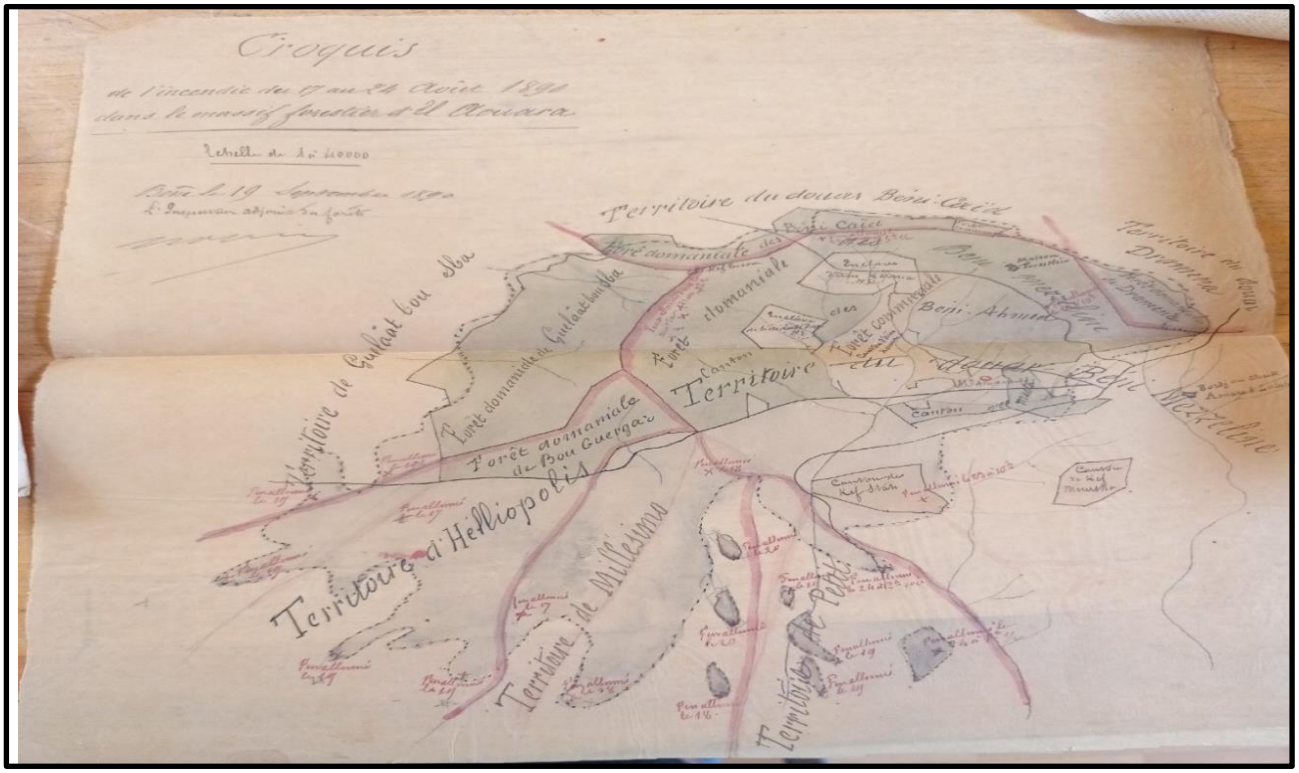

3.3. الإدارة الغابية ومسؤولية السكان عن الحرائق في المنطقة

في الجزائر، كما هو الحال في البلد الأم فرنسا، على وجه الخصوص في منطقة البحر الأبيض المتوسط، تعاني الغابات من الحرائق، نفس الأسباب تؤدي إلى نفس التأثيرات: الظروف المناخية، جفاف الصيف، والرياح العنيفة، وخاصة الأنواع القابلة للاشتعال، دون أن ننسى حرائق الحشائش من قبل السكان الأصليين، أو المستوطنين، لتنظيف حواف الغابة وإنشاء أراضي للزراعة والرعي (DUMOULIN, Septembre 2009,p.271.).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

غير أن الإدارة الغابية الفرنسية في الجزائر حملت في الغالب مسؤولية الحرائق الغابية للسكان الجزائريين، واعتبرتهم العدو الأول المتسبب في هذا الخطر الذي يقضي على الثروة الغابية ويهدد الحياة فيها، كما يكبد المستغلين الأوروبيين الخواص والدولة كذلك ملايين الفرنكات من الخسائر (Treille, août 1881,P.07).

في هذا السياق عبر عضو المجلس العام لمقاطعة قسنطينة سنة 1881م صراحة وأشار إلى السكان كمتسبب أول ومركزي لظاهرة الحرائق التي مست مقاطعة قسنطينة خلال هذه السنة، وذلك في حوصلة تقريره الذي عرضه أمام المجلس في دورة أكتوبر حيث قال (Treille, octobre 1881,P.09): "... **في هذا الصدد يجب علينا أولا أن نشير إلى: هذا رأي المجلس العام لمدينة قسنطينة لم يتغير منذ عشرين عاما. لدينا دائما اعتقاد أن الحرائق سببها الوحيد يعود إلى الفطرة الشريرة لدى العربي...**".

كما تساءل هذا النائب في ذات التقرير عن الدوافع الحقيقية التي "**تدفع السكان الأصليين لتدمير غاباتنا**" يجادل بأن: "**الأقوى بلا شك الثورة ضد قوانيننا ولوائحنا، الكراهية، الكراهية الوحشية، الكراهية المتأصلة، الكراهية العنيدة ضد الأوروبيين. [...] علينا أن نتعامل مع أعداء أسوأ من الهنود الحمر. دعونا نتصرف، كأمريكيين، وإلا نغادر البلاد، ونتخلى عن الجزائر، ونتخلى عن الاستعمار**" (Treille, octobre 1881,P.09).

بالمقابل كتب بعض الوجهاء الجزائريون أعضاء في المجلس العام لقسنطينة1881 م بمن فيهم "**الأخضر بن مراد**" القائد السابق لقبيلة قرفة بدائرة قالمة ردا على تقرير الدكتور"**تريل**" رفضوا فيه "**رأي أولئك الذين يدعون أن الحريق العام الذي وقع كان نتيجة اتفاق بين جميع العرب الذين يعيشون في الدوابر المتاخمة للغابات**". ويعزون الطبيعة الاستثنائية للحرائق إلى سبب: "**لا يمكننا اختراقه. الله وحده ، خالق كل شيء ، يعرف سبب ذلك، ويجب أن ننحني لإرادته**"، وهو بذلك يبرأ ساحة السكان ويسقط عنهم مسؤولية الحرائق

Réponse des conseillers généraux indigènes au rapport de M. Treille sur les incendies », 1881,P. 13.

إن هذا المد والجزر حول من يتحمل مسؤولية الحرائق تغاضى أصحابه عن باقي أسباب الحرائق رغم أن الكثير منها –الحرائق– يعود إلى قد يكون سببه طبيعي، أو نتيجة الإهمال، عدم الاحتياط، عدم الترخيص بالحريق، المستثمرون الأوروبيون، وحقد الأهالي واحدة من هذه الأسباب (Gravius, Constantine, 1866).

إلا أن الحقد الأوروبي الاستعماري والرغبة في تجريد السكان من ممتلكاتهم الغابية عن طرق التغريم والسجن ونزع الملكية (رماش، ص113،2013) بسبب تهم الحرق كان أهم دافع لتحميلهم مسؤولية الحرائق كما حدث مع سكان المناطق الغابية في منطقة قالمة، وهو ما أشارت له بعض الوثائق الأرشيفية التي أكدت ذلك منها هذا التقرير الذي أورده حارس غابة (garde champetre)[6] جبل حلوف ماونة بقالمة المدعو: " **Ceccaldi Antoine**" ، حيث أكد أنه: "**أثناء قيامه بجولته العادية في منطقة عمله التقى بثلاثة عمال أوروبيين يعملون في مصلحة تابعة لشركة الرخام بجبل حلوف أخبروه أنهم رأوا ليلة أمس عند الساعة الواحدة صباحا أربع**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

(4) أهالي يضرمون النار في الغابة في أماكن محددة وقد أتى الحريق على مساحة تقدر بـ: 25 هكتار من أشجار البلوط الأخضر وأشجار الزيتون وكانت، الخسائر جسيمة خاصة ممتلكات البلدية، لذلك طلب بضرورة فتح تحقيق فوري ومعاقبة المتسببين في العملية" (A.N.O.M, G.G.A, 86/108, 21 aout 1890).

وبالمقابل لا يمكن إنكار نتائج الإجراءات القمعية التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية لأجل الحد من الحرائق، خاصة تلك القوانين التعسفية التي تم تشريعها لتقليص المساحات المحروقة، والتي اتهم في غالب الأحيان السكان بالقيام بها، وقد تم تحديدها وإضفاء الطابع الرسمي عليها بموجب قانون 17 جويلية 1874 "**المتعلق بالتدابير الواجب اتخاذها لمنع الحرائق في المناطق الحرجية في الجزائر**" والذي تم تخصيصه لها على وجه التحديد، وهو ما يزيد من احتمال تعمد السكان حرق المساحات الغابية خاصة تلك التابعة للكولون والتي منح امتياز اسغلالها لهم بموجب التشريعات المختلفة بدء من تشريع 1874م والذي يعد أول تشريع غابي قمعي يمنع الأهالي من استغلال الغابة اذ يستند أساسا إلى الردع، الذي يفترض أنه مكفول من خلال القمع الشديد لعمليات الحرق وذلك بتقديم مشعلي الحرائق أمام المحاكم العسكرية وفرض غرامات جماعية على القبائل كجزء من المسؤولية الجماعية، وحظر الرعي في المناطق المحروقة، وعلى الكشف المبكر عن الحرائق عن طريق إنشاء نقاط مراقبة.

وهو ما يزيد من فرضية تعمد بعض السكان اشعال النيران بدافع انتقامي فبعض الحرائق التي شهدتها المنطقة – عندما لم تكن عرضية أو لم تكن بسبب الإهمال أولم يكن هدفها تدمير حطب المراعي فيرد سببها إلى رغبة السكان في التمرد والانتقام من الإدارة الغابية وأصحاب الامتيازات من الكولون الذين سيطروا بموجب القواتين الغابية و في مقدمتها قانون 14 جويلية 1874م على أهم الأقاليم الغابية ومنحوا أسبقية استغلالها للكولون ومؤسساتهم .

وقد ساند هذه الأطروحة أصحاب الامتيازات من الكولون الذين استنفذوا كل امكانياتهم لصرف الإدارة لتجريم الأهالي المسلمين وتحميلهم مسؤولية اضرام النيران وأن دافعهم في ذلك هو كراهية الاستعمار ومعارضة عمليات استغلال الغابات التي استبعدتهم إلى سفوح الجبال والمناطق الجرداء.

غير أن ما تم تقديمه في التقارير على أن ثورة على القوانين وكراهية ضد المستوطنين، وجريمة مدبرة يمكن تكذيبها بناء على تقارير وضع الجزائر وما قدمته من احصائيات رسمية، كانت نسبة الحقد العربي والحرق المتعمد والتمرد على القوانين التعسفية ضئيلة جدا في مقابل باقي أسباب الحرائق والتي تعود في أغلبها إلى عدم الاحتياط أو أسباب غير معروفة، أو حوادث. (Tirman, État de l'Algérie 1 ° au 31 décembre 1882, publié d'après les documents officiels, 1883, p. 122

ثم ان هذه الأطروحة بدأت تطرح من قبل أصحاب الامتياز في غابات بلوط الفلين والدوائر "**الاستعمارية**" بعد حرائق 1860 و 1863 و 1865. وبالنسبة لأصحاب الامتيازات، الذين سعوا قبل كل شيء إلى الحصول على تعويض مالي عن الخسائر الناجمة عن الحرائق، فإن الأمر يتعلق بمبدأ المسؤولية الجماعية للقبائل التي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ستغرم على أساسها عائداتها التي ستدفع لهم كتعويض.

في الأخير يمكننا القول أن الحرائق تعد التهديد الأول للغابات في دائرة قالمة ولكل غابات شعبة عنابة ومقاطعة قسنطينة، وقد تنوعت أسباب اضرام النيران منها ما هو طبيعي ومنها ما هو بشري، غير أن السياسة الاستعمارية الفرنسية الغابية التي أساسسها السيطرة على الثروة الغابية واستغلال منتجاتها غلبت أطروحة الخبث والحقد العربي والطبيعة التمردية على القوانين الغابية لتحميل القبائل الغابية في قالمة وفي كل المقاطعة مسؤولية هذه الحرائق وهو ما يخولها صلاحية فرض العقوبات والغرامات المختلفة التي تنتهي بتجريد سكان الأقاليم الغابية مورد عيشهم الأول وابعادهم إلى سفوح الجبال والمناطق المعزولة.

خاتمة

مما سبق عرضه وتحليله في هذه الدراسة توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

تحوز شعبة عنابة بدوائرها الاربعة قالمة، القالة، الإيدوغ، الحنانشة على أقاليم غابية هامة جدا تشكل أغلب المجال الغابي لمقاطعة قسنطينة التي تمتلك هي بدورها أكبر غطاء غابي في الجزائر.

يتوزع هذا الغطاء بنسب متفاوتة حيث تزخر الغابات الكثيفة بتنوع طبيعي هام جدا من غابات الفلين، البلوط، الصنوبر الحلبي، الزان وغيرها من الثروات الغابية.

تمتلك دائرة قالمة غطاء غابي مهم حيث تعد غابات بني صالح، هوارة، بني مزلين، أولاد بشياح، ماونة وغيرها ثروة غابية غنية بكل أنواع الاشجار والحشائش.

تستغل القبائل الغابية الرعوية غابات دائرة قالمة وتنتفع بمواردها ومنتجاتها المختلفة فهي مصدر عيشها الأول.

أدركت الادارة الغابية الفرنسية عن طريق مصالحها المختلفة أهمية المجال الغابي في دائرة قالمة وبذلت كل جهودها للاستغلال الأمثل لها فهي مورد اقتصادي هام جدا للدولة وللمستغلين الخواص الذين امتلكوا امتيازات الاستغلال.

تعرضت الأقاليم الغابية لدائرة قالمة لسلسة كبيرة من الحرائق وفي مقدمتها حرائق 1890م التي هددت الثروة الغابية في المنطقة وحرمت السكان من استغلال الغابة في مستلزماتهم المعيشية.

رصدت المصالح الغابية في المنطقة الحرائق الغابية لسنة 1890 باهتمام كبيرورفعت تقارير فرقة الجندرمة ومراسلات القائد العام للغابة إلى الجهات المعنية وفي مقدمتها المديرية العامة للغابات.

حملت الإدارة الغابية الفرنسية السكان الجزائريين مسؤولية الحرائق في غالب الأحيان ووجهت لهم تهم اضرام النيران في الأقاليم الغابية المختلفة وأدعت أن دافعهم لذلك هو الانتقام في بعض الأحيان والحقد العربي اتجاه المستوطنين والمستغلين الخواص في أحيان أخرى جراء تجريدهم من ملكياتهم الغابية من خلال الإدارة الاستعمارية ومنظومتها التشريعية الغابية.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

سعت الإدارة الفرنسية الغابية إلى تغليب أطروحة الحرائق المدبرة والطبيعة التمردية للسكان على مختلف القوانين التعسفية الغابية التي أساسها حرمانهم من ملكياتهم الغابية ومنح امتياز استغلالها للكولون، وغيبت باقي الأسباب الطبيعية والبشرية للحرائق لوضع يدها على الغابة ومنتجاتها في منطقة قالمة وفي كل الجزائر.

تعليقات وشروحات

1 أهم قانون بعد قانون 1874م.

2 أغلب الغطاء الغابي في الجزائر وتحديدا مقاطعة قسنطينة تعرض لخطر الحرائق وسجلت كل سنة تقريبا عددا كبيرا منها لمزيد من التفاصيل حول الموضوع ينظر:

M. treille, **conseil général session d'octobre1881**, incendies des forets du département de constantine, aout 1881.

3 Djebel-Hallouf, **carrière de marbre, â 4 k. Sud de Guelma**, dèp. Constantine ; marbre de facile ; exploration récemment entreprise. Voir : **Dictionnaire des communes de l'Algérie,** Algérie (1830-1962, P. Fontana (Alger) Date d'édition 1903, p.64.

4 وردت أسماؤهم في الوثيقة المرفقة.

5 بلدية "**بيتي**" هي بلدية بومهرة حاليا.

6 مهمته الأساسية الحفاظ على الغابة وادارتها، يعمل في المناطق الطبيعية لرصد وحماية وصيانة موارد الغابة

-https://www.guide-metiers.ma/ar/metier/%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%B3.

قائمة المصادر والمراجع

- أرشيف

-A.N.O.M, G.G.A. boite 4l/86.108, **forets, incendies de 1890, rapports sur les incendies de l'arrondissement** de Guelma, 1890.

-A.N.O.M, G.G.A. boite 4l/86.108, **service des forets, incendie de 1890, foret du djebel hallouf,** commune de Guelma.

-A.N.O.M, G.G.A,86.108.

- A.N.O.M, G.G.A, 86/108, **gendarmerie nationale, 19 corps d'armée, 19 légions, arrondissent de Guelma**, procès-verbal de l'incendie de djebel allouf.

-A.N.O.M, G.G.A, 86/108, **lettre de cheikh ouled sénanne Mokhtar ben messoude** ,1890.

-A.N.O.M, G.G.A ,86/108, **gendarmerie nationale, 19corps d'armée, 19 légions, arrondissent de Guelma**, procès-verbal de l'incendie de millesimo1890.

- A.N.O.M, G.G.A, 86/108, **croquis de l'incendie du 21 aout1890**, commune de Enchir Saïd, arrondissent de Guelma.

- A.N.O.M, G.G.A, 86/108, **croquis de l'incendie du 21 aout1890dans le massif forestière de howara**. Arrondissement de Guelma.

- A.N.O.M, G.G.A, 86/108, **gendarmerie nationale, 19corps d'armée, 19 légions**, commune de Guelma, procès-verbal, 21 aout 1890.

- المؤلفات

-Alfred, Franque, 1844**, Lois De L'Algérie du 5 Juillet 1830 (occupation d'Alger) au 1 Janvier 1841**, Paris, J. Conneard, Edition Saint Claude, Imprimerie De Belin Mandan, Rue De Tournon, 20,.

-ويليام شالر ،1982، ، **مذكرات ويليام شالر**، الجزائر، تعليق وتعريب إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع.الجزائر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

-M. Treille، Aout 1881, **conseil général session d'octobre1881**, incendies des forets du département de Constantine.
-Préfecture d'Alger, **Dictionnaire des communes de l'Algérie**, Algérie (1830-1962, P. Fontana Alger, 1903.
-Jules Duval, 1869, **L'Algérie : tableau historique**, descriptif et statistique... (1ère éd. révisée et complétée), librairie de L. HACHETTE.
-Jonas Matheron, **Les forestiers français en Algérie : des administrateurs au service de la protection des Forêts,** Histoire Politique [En ligne], 48 | 2022, mis en ligne le 01 octobre 2022, consulté le 09 février 2023.
−Georges Gravius, 1866, **Les Incendies de forêts en Algérie**, leurs causes vraies et leurs remèdes, Constantine, Louis Marle Libraire.
- Réponse des conseillers généraux indigènes au rapport de M. Treille sur les incendies », Constantine, Imp. Beaumont, 1881.

- الأطروحات

- Jacques Budin, 2020, **la région de Annaba (Bône) : colonisation et résistances : 1832-1914,** Éditeur(s) :Bouchene.
- Didier Guignard, 2008, **L'abus de pouvoir en Algérie coloniale, 1880-1914.** Visibilité et singularité Thèse pour le doctorat d'histoire, Sous la direction de Robert IILBERT , Aix-Marseille Université, 2 tomes.
- عبد الفتاح رماش، 2013، **التشريعات الغابية الاستعمارية وانعكاسها على الاقتصاد المعيشي لسكان الريف القسنطيني فيما بين 1838 – 1914**، رسالة مكملة لنيل درجة الماجيستر في التاريخ، جامعة قسنطينة 2.

- المقالات

- L. Saccardy, juillet 1938, **Le Chêne-Liège et le Liège en Algérie,** Revue de botanique appliquée et d'agriculture coloniale, 18e année, P.49.
- André Nouschi, 1959, **Notes sur la vie traditionnelle des populations forestières algériennes**, Annales d Géographie, t. 68, n°370. pp. 525-535.
- André Nouschi, 1961**, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises**, Première édition : Presses Universitaires de France, Paris, p 93 – 94.
- David, Prochaska, 1990, **Making Algeria French. Colonialisme in Bône**, 1870-1920. In : Cahiers d'études africaines, vol. 30, n°119, Maghreb : récits, traces, oublis. pp. 376-378.
- Jacqueline Dumoulin, septembre 2009, **Les relations entre l'armée et l'administration forestière en Algérie Du début de la colonisation au début du XXe siècle**, forêt méditerranéenne t. XXX, n° 3, p.271.

مواقع الانترنيت

- حارس غابة (garde champêtre) مهمته الأساسية الحفاظ على الغابة وادارتها، يعمل في المناطق الطبيعية لرصد وحماية وصيانة موارد الغابة.

-https://www.guide-metiers.ma/ar/metier/%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%B3

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)